الفصل الأول

ظروف وملابسات

فى يوم من الأيام جاءنى الأخ « محمد عبد الرحمن » وهو يعمل فى الصحافة . وأخذ يتحدث معى عن عديد من الأسئلة . وأخذت أجيبه ، وذلك أمر عادى يحدث من حين لآخر .

وكان من بين هذه الأسئلة سؤال عن الشيوعية . ونص السؤال . ونص الإجابة عليه مايلى :

السؤال : هل يمكن أن أكون مسلمًا وأعتنق الشيوعية . ولماذا ؟

الجواب : إن المسلم الصادق يكتفى بإسلامه عن أى مذهب آخر . إن الله سبحانه وتعالى يقول فى وضوح لا لبس فيه :

(اليومَ أكملتُ لَكم دِينَكُم وأتممْت عَلَيكمْ نِعْمَتى ورَضِيتُ لَكُمُ الإسْلامَ دِينًا) .

لقد أكمل الله الدين فى العقيدة

وإنه لمن المعروف . أن الشيوعية تحارب الدين . تحاربه بكل وسيلة ممكنة . وقد أعلن ذلك كبار زعمائها . وإنه لمن المشهور ماقاله كارل ماركس ..

لقد قال أولا : يجب أن يزول الدين من المجتمع ، فلما قيل له :

إن الإنسان لابد له من عقيدة ، فما هو البديل للعقيدة فى الله تعالى ؟

قال : الهوهم بالمسرح ، وأكثروا من المسارح ، وكلما أكثرتم من المسارح ، أخذ الناس يتحدثون عن نجاح المسرحية أو إخفاقها ، وعن نجاح الممثلين والممثلات فى أدوارهم أو إخفاقهم فيها ، وينسون بذلك العقائد الدينية .

وهو القائل : الدين أفيون الشعوب .

وزعماء الشيوعية لهم أقوال . إن لم تكن هى ماذكرناه نصا ، فإنها فى معناه ، وكلهم يتفقون فى ذلك ، وعملهم مؤيد لذلك كل التأييد . فأشدهم إلحادًا ، أو أشدهم محاربة للدين ، هو الذى يترقى فى الحزب ويسود .

وصحفهم تدعو فى إلحاح ، إلى التخلص من كل مابقى من آثار الأديان .

ولقد قرأنا عدة مرات فى صحفنا نقلا عن الصحف الروسية قرأنا أن الأديان مازالت لها آثار يجب التخلص منها ، وتأخذ على المسئولين عدم ازدياد النشاط ، حتى ينتهى من البقية الباقية فى أقرب زمن مستطاع .

والمساجد فى ألبانيا الشيوعية مغلقة ، ومَنْ أظهر ميولا دينية ينكل به بشدة . قد تكون رميًا بالرصاص ، ولايحتل مكانًا مرموقًا فى أى قطر شيوعى . من له ميول دينية .

وللشيوعيين منهج معين فى الهجوم على الدين .

والخطوة الأولى فى الهجوم على الدين ، هى السخرية بعلمائه . والاستهزاء بهم ونقدهم ، والهجوم عليهم بكل وسيلة : الصور الكاريكاتورية ، التمثيليات ، المسرحيات ، الأفلام ، النكت .

إن خطتهم الأولى أن يضعفوا علماء الدين بكل وسيلة .

الصغير يضخمونه ، واللاموجود يوجدونه ، والشائعات يكثرون منها .

وينساق وراءهم فى ذلك رجال سذج ، والسذاجة فى كل الشعوب .

حتى إذا ماضعف رجال الدين : هاجموا الدين فى بعض فروعه ، وهذه هى الخطوة الثانية . فإذا ماتمت ، هاجموا الدين مباشرة .

وخطتهم هذه درسوها فى أناة ، وعندهم فى كل الخطوات رسم محدد ، وأحاديث مكتوبة ، وأشياء كثيرة معدة . هذا فيما يتعلق بالعقيدة .

وإذا كان الله تعالى قد أكمل الدين فى العقيدة ، فإنه سبحانه قد أكمله فى الاقتصاد .

إن الإسلام شرّع للمال ، لقد شرّع للتجارة ، وللملكية الزراعية ، وللإيجار ، وشرّع للبيع والشراء ، ووصل به الأمر أن بيّن فى استفاضة كيفية كتابة الدين ، وحدد فى استفاضة أيضًا الميراث ، والزكاة ومصارفها .

والأصل الأصيل فى الإسلام ، هو حرية الفرد فى المال ، وذلك فى إطار المبادئ الإسلامية العامة .

ومن الأشياء التى تستدعى الكثير من التفكير ، أن عبد الرحمن بن عوف ، وعثمان ، والزبير ، وطلحة رضى الله عنهم ، كانوا من أصحاب الملايين ، وكانوا مع ذلك من المبشَّرين بالجنة ، ولم يكن « أبو ذر ، أو بلال ، أو صهيب » من المبشَّرين بالجنة وما من شك فى أنهم كانوا سادة فى الصلاح والتقوى ، وأن الجنة بفضل الله مصير لهم ، ولكنهم مع ذلك ليسوا من العشرة المبشرين بالجنة .

وإذا كان الأصل فى الإسلام ، هو حرية الفرد فى المال فى إطار المبادئ للإسلام ، فإن الشيوعية تعارض ذلك فى شدة .

لقد استولت على الثروات والملكيات فى جبروت وقهر . ولم تسمح للفرد بالحرية فى المال والثراء .

وإذا كان الإسلام والشيوعية فى تعارض فى العقيدة ، فإنهما فى تعارض فى الاقتصاد .

ثم إن تشريع الشيوعية فى الزواج . وفى الأحوال الشخصية على العموم ، مخالف لتشريع الإسلام .

والأخلاق التى تسود فى الجو الشيوعى ، تختلف فى كثير منها عن الأخلاق الإسلامية . وفى النهاية نقول :

إن الإسلام وحى إلهى معصوم . وكل خارج عليه خارج على العصمة

أما الشيوعية ، فإنها اختراع بشرى من اختراعات اليهود ، الذين ديدنهم وشعارهم إفساد الإنسانية دينًا وتشريعًا وأخلاقًا .

ونجح اليهود إلى حد كبير فى نشر بدعتهم .

ولكن يجب أن يكون مفهومًا عند المسلم . أنه مادام الله سبحانه وتعالى قد أكمل الدين ، وأتم النعمة . ورضى لنا الإسلام دينًا . فإنه ليس لنا من طريق إلا طريق الإسلام .

هذا ما أجبت به ، وكان من الممكن - بالنسبة لى - أن يقف الأمر عند هذا الحد . فما كنت أفكر فى يوم من الأيام أن أقوم بدراسة الشيوعية . إنما هو سؤال أجبت عليه كما أجاب عشرات من الكتاب عن أسئلة تتعلق بالشيوعية .

كان من الممكن أن يسدل ستار الصمت على الموضوع . إذ لست اول من أجاب على سؤال عن الشيوعية ، ولا آخر من يجيب .

ولكن المقادير شاءت غير ذلك .

فقد ظهرت كلمات نقد موجزة فى إحدى المجلات ، ولما قرأتها لم أجد فى نفسى مايدعو للرد . وكان من الممكن أن ينتهى الموضوع عند هذا الحد أيضًا . ولكن ..

ولكن ظهر فى عدد تال للمجلة نفسها مقال طويل . ترك جوهر الموضوع . وهو الحديث عن الشيوعية ، وأخذ يكيل لى الشتائم كيلا . وقرأت المقال فوجدتنى بعد قراءته هادئًا كل الهدوء . لم أجد فى نفسى إلا طمأنينة . لم يتحرك شعورى بثورة ، لم أصب على الكاتب اللعنات .. وإنما انغمست فى تفكير عميق . إن هذا المقال تنبيه وتوجيه . وكأنه يقول :

هذه هى الشيوعية : إنها كفر فى الأساس ، وفى البناء .

وهى سفه وجاهلية فى الجدل والنقاش .

وهى تسكت خصومها بالتنكيل والتعذيب ، والقتل . والسجن . إن استطاعت وملكت ، فإن لم تستطع ولم تملك حاولت أن تسكتهم بالإقناع فى الشتائم . إن هذه هى الشيوعية !

وأخذت أسائل نفسى :

لِمَ لَمْ تكتبْ عليها من قبل ، مبينًا للناس حقائقها ؟ .

لم سكتَّ عليها للآن ؟

ماعذرك أمام الله سبحانه وتعالى . وأمام رسول الله ﷺ ؟

إلى متى تترك المسلمين جاهلين بحقيقتها ؟

إنها تحاد الله ورسوله ، وتحارب الله ورسوله ، وتسعى فى الأرض فسادًا . وذلك منذ عشرات السنين .

أفما كان الأجدر بك ، أن تكرس جزءًا من وقتك فى بيان هذا الضلال ؟

أو ماكان الأجدر ، أن تقوم بحملة توجه فيها أنظار مجمع البحوث الإسلامية ، وأنظار علماء الأزهر ، وأنظار المفكرين فى العالم الإسلامى ، إلى الخطر الشيوعى ، وتدعوهم إلى تنوير الناس فى أمره ؟

إن فى العالم الإسلامى كثيرًا من المفكرين الذين يزعمون حب الإسلام ، ويزعمون أنهم من كبار أنصاره ، أين أقلامهم ؟ إنهم يشغلون أنفسهم بتفاهات من اختلاف الفقهاء ، ويتركون الخطر يستشرى بنشر المبادئ الشيوعية ، إن آمالهم وقفت عند حد محدود لم تتجاوزه ، ثم يزعمون أنهم كبار المصلحين ، أين أقلامهم فى مهاجمة الشيوعية ؟ إن الشيوعية أخطر المبادئ الهدامة التى تفسد الشباب ، وتفسد المجتمع ، فأين جهادهم ضدها ؟ إن بعضهم يناقش فى القدر ، أو يتحدث عن زيارة القبور ، أو .. إنهم يعبثون .

وكنت يوم أن ظهر المقال الذى تناولنى بالشتائم ، أستعد لحلقات فى التليفزيون عن العشرة المبشرين بالجنة . ولم يكن فى وقتى سعة للرد ..

وظهر عدد آخر من المجلة ، وتناولنى أيضًا بالشتائم ، وظهر ..

وانتهيت من برنامج التليفزيون بعد مدة طالت ، وبدأت أفكر .

هل أرد ؟ وعلام أرد ؟

وهل ينزل كاتب كريم على نفسه ، إلى مستوى السباب ليرد بها على الشتائم والسباب ؟

وإذا فعل - ولايتأتى ذلك - فأى مجلة فى المستوى الكريم تنشر له فتسقط فى أعين الكرماء ؟ على أنه أصبح معروفًا أن التيار الشيوعى فى العالم الإسلامى والعربى تيار عميل ، إنه تيار مأجور ، وهذا التيار يسره أن يشتبك فى معارك ، ليظهر لأسياده الولاء والإخلاص .

واستبعدت فكرة الرد منذ اللحظات الأولى للعزم على الكتابة ، وحل محلها محاولة تلافى التقصير :

أى حل محلها فكرة الكتابة عن الشيوعية نفسها ؟

والكتابة عن الشيوعية الآن فرض على كل قادر ، إنها فرض على كل مسلم يزعم إخلاصه لدينه ، ويزعم حبه لرسوله ﷺ .

إن التيار الشيوعى المخرب ، يجب أن يصد بالفكرة ، ويجب أن يصد إفساده وتخريبه بالقانون ، وبالردع ، وإلا طغى الطوفان ، طوفان الشر والفساد .

وفى أثناء بحثى فى المراجع عن العشرة المبشرين بالجنة ، كان الناس يتساءلون : لم لم يرد ؟ لم التزم الصمت ؟

وكان شعورهم جياشًا ، وأتتنى برقيات ، وأتتنى رسائل ، وجاءتنى وفود تقول : ماذا نفعل ؟

وكنت تجاه كل هذا الشعور الجياش ملتزمًا الهدوء الكامل ، لم أجد فى نفسى ثورة ، ولافى شعورى ضيقًا ، وكنت أشكر الكثيرين على شعورهم الرقيق ، وكنت آمر أمرًا مؤكدًا للبعض الآخر بالتزام الهدوء الكامل ، عند من أجد فيهم رغبة فى تحقيق ماقاله شوقى :

والشر إن تلقه بالخير ضقت به
ذرعًا وإن تلقه بالشر ينحسم

ومن الناس إيجابيون ، وحينما يرون موقفًا لايرضيهم يتخذون فورًا من الوسائل ماينا سب .

إنهم إيجابيون فى الحياة : لايقفون متفرجين . ولا يذهبون مذهب السلبية . وإنما يتخذون الحق مذهبًا . ويبينونه للناس من أجل الحق وحده .

ومن هؤلاء الأخ الفاضل المؤمن « محمود أبو وافية » فإنه حينما رأى التجنى والاعتداء لم يسكت ، وأحب أن يرضى ضميره وكتب فى جريدة الأخبار الغراء مايلى :

« أرجو أن تتقبل منى هذا العتاب حول مقالك الأخير . الذى جانبه التوفيق ، والمنشور « بروز اليوسف » بتاريخ ١١ / ٨ / ١٩٧٥ بعنوان : « لاياصاحب الفضيلة » .

واسمح لى أن يكون عتابى قاسيًا فإن مقالك كان كذلك . وماعرفت عنك إلا سعة الأفق والروح الديمقراطية السليمة .

ولأبدأ بالإجابة على سؤال ورد فى الصفحة السابقة تحت عنوان : « من الذى سخر من رجال الدين » حيث تقول :

ثم إنك تقول ياصاحب الفضيلة مانصه :

وللشيوعيين منهج معين فى الهجوم على الدين ، الخطوة الأولى هى السخرية بعلمائه بكل الوسائل . . . إلخ . ثم تتساءل فى أى مكان من الأرض يحدث هذا ؟ ومن هم العلماء الذين كانوا عرضة للسخرية ؟

وإننى أجيبك على سؤالك هذا . فبالنسبة لمكان الهجوم فهو القاهرة شارع قصر العينى . مجلة « روز اليوسف » بعددها الصادر يوم ١١ / ٨ / ١٩٧٥ م .

وبالنسبة للجزء الثانى من سؤالك : من هم العلماء الذين كانوا عرضة للسخرية ؟

فإننى أجيبك : إنه هو فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر . والذى هاجمه .

هو الأستاذ « عبد الرحمن الشرقاوى » رئيس مجلس إدارة « روز اليوسف » ؟

إن الإمام الأكبر ليس مجرد فضيلة الشيخ « عبد الحليم محمود » ، المواطن المصرى ، ولكنه هو الرمز الحى للمسلمين ، فأنت حينما تهاجمه بحجة أنه رجل يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق ، ومن ثم يجوز نقده ، لاتكون موفقًا . لأنك تجاهلت مشاعر المسلمين ، وكان الأجدر بك أن تعيد التفكير .

ولكم آلمنى حقًا أن أراك تقول عن الإمام : « وله العتبى حتى يرضى » .

ذلك أن هذا التعبير ، لم يستعمله إلا النبى ﷺ ، وكان يخاطب به الله سبحانه وتعالى ، ويشكو إليه كذلك ، فقد جانبك التوفيق حينما شبهت بطريق غير مباشر ، فضيلة الإمام الأكبر ، بالنبى محمد عليه الصلاة والسلام ، فوصفته بأنه رجل يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق . ومن المعروف أن النبى ﷺ هو الذى وصف بهذا التعبير .

هل تسمح لى أيها الصديق أن أسألك : « بصفتك قد صليت فى موسكو » ، من الذى قال : « الدين أفيون الشعب » ؟

كذلك فأنت تقول فى الصفحة التاسعة من المجلة مانصه :

« إننى أرجوك أن تعود إلى نصوص القرآن والأحاديث الشريفة ، فى أمور المال وحق الفرد ، وحق الأمة ، لكن تخرج على الناس بكلام آخر تحق فيه الحق ، وتمحو عن الإسلام عار أنه ينحاز لطبقة ضد طبقة ، ووصمة الزعم بأنه يبارك الاستغلال » .

وأحب أن أسألك ، من الذى يقول ، إن هناك عارًا قد لحق بالإسلام ؟ ومن الذى قال : إن الإسلام ينحاز لطبقة ضد طبقة ؟

ومن الذى زعم ، أنه يبارك الاستغلال ؟

إن كنت تقصد ، أن الذى فعل ذلك ، هو فضيلة الإمام الأكبر ، بمقاله المنشور فى آخر ساعة ، فقد أخطأت ، لأننى وغيرى لم نلمس ذلك ، ومن ثم فإنك تكون قد تجنيت على الرجل ، ومسست مشاعر المسلمين ، وإن كنت لا تقصده ، فأرجو أن تخبرنا ، من الذى فعل ذلك ، حتى ولو كان الذى فعل ذلك هو أنت نفسك برغم أنك قد صليت فى موسكو ..

وأخيرًا فما كنت أحب لك أن تتردى إلى قولك للإمام : « يجب ألا توظف الدين ، لتخدم الرأسمالية وتهاجم الاشتراكية » . فهذا اتهام غير صحيح .

وختامًا فأنت تقول : إنك لست شيوعيًا ، ولا ماركسيًا ، وأنا أعلم أنك فعلا لست شيوعيًا ، ولا ماركسيًا ، ولكنك وطنى نبت من أرض مصر ، ومن هنا دعنى أهمس فى أذنك بمثل من قريتنا يقول :

« من جاور الحداد ابتلى بناره » ، وأنت فى « روز اليوسف » تجاور كثيرًا من الحدادين ، فأرجو أن تحرص من الاكتواء بنارهم الحمراء » .

وكتب غير « الأستاذ أبو وافية » فى مجلة آخر ساعة كتّاب آخرون ، من خيرة الدارسين المثقفين .

وأرجو الله تعالى أن يجزيهم خير الجزاء لقد كانوا إيجابيين ، وكانوا على استعداد لأن يسيروا فى الطريق إلى غايته ، ويبينوا للناس فى صراحة كافية ، كفر الشيوعيين ومعارضتهم للدين الإسلامى وإفسادهم .

وكتب الأستاذ « إبراهيم سعدة » ، كلمة نابعة من وحى شعوره بالإسلام الصافى هذا نصها . وقد عنونها بكلمة .

« وقاحة نادرة » .

« رأينا « الملكة اليزابيث » ، ملكة بريطانيا العظمى ، تنحنى فى خشوع

واحترام أمام « بابا روما » ، وشاهدنا الرئيس الأمريكى الراحل « كنيدى » وكان وقتها رئيس أكبر ، وأقوى وأغنى دولة فى العالم ، يقبل يد البابا عندما زاره فى الفاتيكان .

وما فعله « كنيدى ، واليزابيث » فعله كل من أتيحت له فرصة مقابلة البابا أو الاقتراب منه .

إنهم يحترمون فيه الرمز الذى يبرزه ، ويقبلون فيه الدين المسيحى الذى يمثله . هذا مايفعله المسيحيون ، برجل دينهم الأكبر .

أما نحن فى مصر ، فى دولة العلم والإيمان فإننا نفعل شيئًا مخالفًا وشاذًا ، فمنذ فترة وشيخ الجامع الأزهر الدكتور « عبد الحليم محمود » ، يتعرض لحملة حقيرة ، ومسعورة ، من جانب من يسمون أنفسهم بالماركسيين .

لقد نزعوا عن وجوههم برقع الحياء ، وأصبحوا أكثر وقاحة ، وأكثر بجاحة .

فوجئنا ببعضهم يتعرض لشخص الإمام الأكبر ، بكلمات أقل مايمكن أن توصف به ، أنها كلمات وقحة ، ومبتذلة ، وتنم عن استهتار بكل القيم وبكل المثل الأدبية والخلقية .

وهذه الجريمة سبق أن ارتكبها الذين نسوا دينهم طوال سنوات الهوان الغابرة ، والذين بلغ من غرورهم أنهم تصوروا أن مراكز القوى التى تربعوا فوقها ، قد رفعتهم إلى مرتبة الآلهة ، فعاثوا فى الأرض فسادًا . تجاهلوا دينهم . سخروا من شيوخهم .

وتمادوا فى جبروتهم وبغيهم ، فأصيبت بلادهم بالخراب والدمار ، وفتحوها أمام الغزاة ، وفرشوها تحت أقدام اليهود .

كان لرجال الدين فى بلادنا هيبة كبيرة . وجاءت مراكز القوى ، فبددت هذه الهيبة ، وألقت بالشيوخ الأفاضل فى السجون والمعتقلات ، وأطلقت عليهم الكلاب الآدمية ، والحيوانية ، لتنتهش أرواحهم ، وتمزق أبدانهم .

كان شيخ الأزهر ، هو أعلى رأس فى البلد ، ليس بصفته الشخصية . وإنما للمنصب العظيم الذى يشغله . وللمهمة الكريمة التى يقوم بها ، ولهالة النور التى تحيط بمئذنة جامعه ...

وجاءت مراكز القوى . لتنال من هذه الهالة المضيئة ، وتحاصره وتمنع حركته ، وتملى عليه ما يقوله .

وكلما تمادت القوى فى الاستهتار برجال الدين . ازدادت فرحة هؤلاء الذين لادين لهم . والذين تركوا الله وآمنوا بماركس . واستنكروا : « موسى وعيسى ومحمد » والتفوا حول « لينين ، وستالين ، وخروشوف » .

وبدأنا نقرأ العجب العجاب بأقلام هؤلاء الملحدين ، الذين سيطروا - فى سنوات ماضية - على أجهزة الإعلام المصرية .

قرأنا أن الشيوعية لا تتعارض مع الأديان .

وقرأنا عن الشيوعى . الذى يواظب على تأدية الصلاة فى أوقاتها .

ورأينا الملحد الماركسى . الذى ظهر فوق شاشة التليفزيون ليحدثنا عن الشيوعية . وفى يده مسبحة أنيقة يسبح بها « ماركس أكبر » بديلا عن « الله أكبر » . أستغفر الله !

وبلغ من استبداد هؤلاء ، أنهم منعوا أى نقد يوجه من أئمة الدين للنظرية الشيوعية الإلحادية . بل إنهم نجحوا فى حذف كلمة الشيوعية من أعمدة الصحف والكتب ، واستبدلوا بها كلمة : « اشتراكية » ، ووصفوها بأنها

« لاشرقية ولاغربية » . وإنما هى « نابعة من واقعنا ودينا وآمالنا » .

ولقد تحملنا من هؤلاء الأدعياء الكثير .. تحملنا محاولة استغفالنا بأقوالهم المعسولة .. تحملنا أن نسمع أن أحدهم كتب عن الأرض ، وأكد انتماءه للفلاح ، وتحالفه مع العامل ، وتجاوبه مع المقاتل . وإيمانه بالمثقف ، ثم تجده يعيش عيشة الأثرياء المنعمين : فهو يتقاضى الحد الأقصى للمرتب فى الدولة . يمتلك سيارة . ويقيم فى شقة تطل على النيل ، ويستعد للانتقال قريبًا لشقته التى اشتراها أمام « شيراتون » بنحو عشرين ألف جنيه .. ، ويصطاف فى شقته الفاخرة فى الاسكندرية . . ، ويسهر ويسكر ليلا .. ويثور ويناضل نهارًا ! !

تحملنا أن نرى حلفاء الطبقة الكادحة ، الذين يملكون عشرات الألوف من الجنيهات !

تحملنا مايقوله الماركسى الآخر ، عن حتمية انتصار التحالف الشعبى ، ضد الرجعية والرأسمالية . برغم أن هذا الماركسى نفسه ، ينتمى إلى طبقة الباشوات ، ويسكن فى قصر ، ويمتلك فيلا فى باريس !

تحملنا منهم هذا كله ..

ولكن حملتهم الأخيرة على الدين ، وعلى شيخ الأزهر . لايمكن احتمالها أو السكوت عليها .

حرام والله أن نسمح لهؤلاء الأدعياء . الذين لادين لهم . بحمل المطرقة . لهدم صورة من أجمل الصور فى قلوبنا وعقولنا . لقد أسعدنى أن هيئات كثيرة ، وأقلاماً عديدة . هبت ووقفت ضد هذه الفئة الملحدة . ولكن هذه الوقفة لا تكفى . لابد أن تكون أكثر اشتعالا وتأثيرًا لابد أن تستمر ! !

لقد تساهلنا كثيرًا فى الماضى . مع هؤلاء الذين تحالفوا مع مراكز القوى .

لتدمير أشياء جميلة ومقدسة فى عيوننا وقلوبنا !

وآن الأوان للوقوف وقفة حاسمة وصارمة ، للدفاع عن ديننا وكرامة شيوخنا ! ! » ا هـ .

وشكر الله « للأستاذ إبراهيم سعدة » .

وأحب أن أذكر أننى لم أجلس مع « الأستاذ أبو وافية » ولا مع « الأستاذ إبراهيم سعدة » فى جلسة تناولنا فيها الحديث ! !

إن ما كتبناه لم يكن عن صداقة بيننا ، وإنما كان خالصًا لوجه الله منبعثًا عما شعرا به من اعتداء ظالم ، فأحبا أن يردا الاعتداء بكلمة الحق .

ومن بين الرسائل التى وصلتنى رسالة أعتز بها ، لمكانة كاتبها فى الثقافة ، وفى الفكر ، وفى المكانة الاجتماعية ، إنه وزير الأوقاف والحج فى المملكة العربية السعودية ، وهو شخصية معروفة بالاتزان والتروى والحصافة فيما يكتب وفيما يقول ، وتلك نص الرسالة :

بسم الله الرحمن الرحيم

صاحب الفضيلة الإمام الأكبر الدكتور « عبد الحليم محمود » الموقر .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وبعد ....

الآن ، وقد انتهيت من قراءة البيانات التى نشرت فى مجلة آخر ساعة العدد « ٢١٣٠ » فى ١٣ شعبان ١٣٩٥ هـ الموافق ٢٠ أغسطس ١٩٧٥ . بعد أن قرأت البطلان الذى نشر فى مجلة « روز اليوسف » فى موضوع الإسلام والشيوعية ، تأكد لى أن الله واسع الفضل والمنة على عباده المؤمنين .

لقد كان ذلك البطلان زبدًا ذهب جفاءً تحت قوة الحق ، ولكن حكمة الله ظهرت فى أن هذه الفتنة الدينية ، أثيرت فى وقت كان لها أفضل رد فعل ..

إن رد فعلها كان خيرًا عظيمًا على الوضع القائم فى مصر ، فى وقت تجرى فيه المفاوضات ، مع أعداء الله وأعداء الدين من اليهود ، على رتق جوانب من الفتق الذى كان للشيوعية اليد العظمى فى إحداثه .

إنه لايمكننا أن نتصور انتصار الصهيونية على الأمة العربية ، واستذلالها لعزتها ، وغلبتها على « بيت المقدس » واعتدائها على مقدساتها ، لو لم يبتل العالم العربى بذلك التيار الإلحادى الشيوعى ، الذى أفسح المجال لتلك الطغمة التى ضربت عليها الذلة والمسكنة .

لو لم يبتل العالم العربى ، بتغلغل ذلك التيار الإلحادى الشيوعى ، فى الأمة العربية ، لما كان الخيال يستطيع تصور حدوث ماحدث .

ولقد جاء هذا الحوار بين الحق والباطل ، فى هذا الظرف السياسى ، الذى تعالج فيه الجروح التى خلفها المد الشيوعى فى العالم العربى ، نعمة من الله وفضلا ، ليرتفع صوت الإسلام عاليًا فى مواجهة الشيوعية ، حتى تتجمع الطاقات الإسلامية فى هيئة فكر موحد ، لتكون ظهراً للسياسة الحكيمة المتبعة حتى تسد الطريق فى وجه الدين الشيوعى وأنصاره ، لئلا يعوقوا الوصول إلى النتائج التى نرجو أن تكون فاتحة خير وبركة ، على جميع البلاد العربية التى ذهبت ضحية موجة الانحرافات الدينية ، التى دفعتها الشيوعية إلى هذه المنطقة .

إن هذا الحوار الذى افتتحت به آخر ساعة مع فضيلتكم وكان سببًا فى أن تكشف الشيوعية عن حقدها الدفين ، لهو إرادة من الله ، ليحق الحق ويزهق الباطل ، إن الباطل كان زهوقاً .

إننى بما بيننا من حب فى الله ، وكره للإلحاد والملحدين ، أقدم إليك تهنئتى على أن جعلك الله سببًا فى هذا الخير على الإسلام والمسلمين . وآمل أن تنقل عظيم شكرى إلى أصحاب الرأى السديد . الذين غمسوا أقلامهم فى مداد من نور ، ليخطوا كلمة الحق ، وأناروا بها صفحات « آخر ساعة » ، لتظهر حقيقة الدين جلية واضحة ، وسلطوا الأضواء على جميع جوانبها . لئلا ينخدع البسطاء بالباطل من القول .

وتقبلوا خالص تحياتى . اهـ .

وشكر الله لصاحب المعالى وزير الأوقاف والحج .

* * *

وكتبت المقال الأول عن الشيوعية ، وشرح الله صدر الإخوة المشرفين على « أخبار اليوم » لنشره ، ثم نشر المقال الثانى فى الأخبار وهكذا ....

وفى هذه الأثناء . كنت دائب السعى فى جمع المراجع واستيعابها دراسة وتأملا – فتبين لى بما لايدع مجالا للشك – أن :

١ – الشيوعية وليدة الصهيونية . إن الصهيونية هى التى اخترعتها وأنشأتها وأخذت ترعاها !

٢ – الشيوعية تتعارض جذريًا مع الإسلام . كما يتعارض الكفر والإيمان ، ذلك أن الشيوعية ملحدة والإسلام دين !

٣ – تتعارض الشيوعية مع الإسلام فى الأخلاق . إن للإسلام أخلاقه القائمة على الرحمة والعدل والانصاف ، وحب الجار . والبر بالإنسانية أجمع .

أما الشيوعية فإنها تقوم على إثارة الكراهية والبغض والعداوة . . والحقد ، بل الحرب بين الطبقات !

٤ – يتعارض الإسلام مع الشيوعية جذريًا فى الاقتصاد ، وذلك أن الإسلام يقر الملكية الفردية ، ولايضع فى طريقها عقبات ، مادامت فى إطار المبادئ الإسلامية .

أما الشيوعية فقد نسفت الملكية نسفًا .

٥ – الإسلام يحترم الفرد . ويحتفظ له بحقوقه ، ويحافظ على كرامته . فى حدود مبادئ الوحى .

أما الشيوعية فإنها لاتضع الفرد فى سجل تقديرها . ! !

وهذا التباين والتعارض بين الشيوعية والإسلام أصبح الآن من الوضوح بالقدر الكافى لكل من درس الشيوعية والإسلام .

ومازال فى الحديث عن الشيوعية الكثير مما يقال ويكتب .

بيد أن الكثيرين لم تتح لهم ظروف الحياة الوقت الكافى للدراسة .

ومن أجل بيان الحق وإيضاح التعارض ألفنا هذا الكتاب .

على أننى فى أثناء بحثى وجدتنى مضطرًا لبيان الحق فى شأن الصحابى الجليل « أبى ذر » رضى الله عنه . ويسر الله الكتابة عنه . وبيان صلته بالشيوعية . وكان ذلك الكتاب الثانى .

وفى أثناء بحثى ، صادفت فتاوى لكبار العلماء خاصة بالشيوعية . فأخذت فى ترتيبها وتنسيقها والتعليق عليها ، فكان هذا هو الكتاب الثالث .

ومازال فى الحديث عن الشيوعية الكثير مما يقال ويكتب ونعتقد أن المفكرين القادرين على البيان والنشر عليهم واجب مفروض من قبل الحق . ومن قبل الضمير ، أن يبينوا للناس ماعليه الشيوعية من إلحاد وكفر .

وعلى علماء الإسلام أن يوضحوا للناس ماعليه الشيوعية من زيغ وضلال ، وذلك ميدان من ميادين الجهاد الواجبة على القادرين .

والله أرجو أن يهدى بهذا الكتاب ويهدى له ، وأن يشرح له صدورًا وينير به عقولا .

« إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت ، وما توفيقى إلا بالله ، عليه توكلت ، وإليه أنيب » .

obeikandl.com